تفسير سورة طه

مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى

اللقاء السادس

أبرز القضايا والمحاور في السورة وعلاقتها بموضوع السورة: ملامح تتعلق بموقف المشركين من الرسالة ودلالات السورة عليها: اختار الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم لحمل القرآن وأمر بتبليغه للناس، فما كان من المشركين تجاه هذا الكتاب إلا الإنكار والمواجهة، والتعنت، فطلبوا الآيات الحسية وجعلوها شرطاً لإيمانهم (وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) وكان بعضهم يحث بعضا على ترك الاستماع إلى القرآن الكريم، بل يدعون إلى التشويش عليه حتى لا يسمع. ونزلت سورة (طه) في هذا الجو لتعالج الانحراف من خلال حكاية قصة إيمان السحرة إثر معجزة موسى الحسية بعد أن كانوا مستشعرين الثقة بالنصر. وفي السورة تتجلى أثر المعجزة القرآنية غير الحسية حيث كان مطلعها سبباً في إسلام عمر رضي الله عنه، بعد أن كاد أن يكون ميؤسا منه. وفي قصة موسى أيضا بيان إعراض فرعون وملأه عن الإيمان بما جاء به موسى من البينات، وتكذيب فرعون بآية موسى (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ)، واتهامه بالسحر (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ)، وهو نفسه ما وقع من الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم فقد أعرضوا عن رسالته، واتهموه بالسحر، وكذبوه. ويبرز في السورة الاعتناء بمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم، فأبانت الآيات أن القرآن منزل من عند الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض (تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى)، وأنه تعالى قد صرف فيه من الوعيد، وأن متبعه ينال سعادة الدارين بعيداً عن الشقاء، وأن المعرض عنه هو الذي له المعيشة الضنك (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ)، وهو وحده الحامل لوزره يوم القيامة (مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا). وموقفهم هذا من القرآن هو نفسه موقف كل من يُعادي ما في القرآن من أوامر ويرى أن السعادة والفلاح في غيره من القوانين، كما سيأتي معنا في السورة بإذن الله.

المعنى الإجمالي: من الآية (65) إلى الآية (78):

يُخبرُ اللهُ تعالى عمَّا جرَى بينَ موسَى عليه السلامُ والسحرةِ، وأنَّ السَّحَرةَ قالوا لِموسَى عليه السَّلامُ: إمَّا أن تُلقِيَ عَصاك أوَّلًا، وإمَّا أن نبدأَ فنُلقِيَ حِبالَنا وعِصِيَّنا قَبلَك. قال لهم موسى: بل ألقُوا أنتم. فألقَوا حبالَهم وعِصِيَّهم، فخُيِّلَ لموسى مِن قُوَّةِ سِحرِهم أنَّها حَيَّاتٌ تتحرَّكُ! فشعَرَ موسى في نفسِه بالخَوفِ، فقال الله لموسى: لا تَخَفْ؛ فإنَّك أنت الأعلى المنتَصِرُ على هؤلاء السَّحَرةِ، وعلى فِرعَونَ وجُندِه، وألقِ

عَصاك التي في يمينك تَبتَلِعْ حِبالَهم وعِصِيَّهم؛ فإنَّ الذي عَمِلوه مَكرُ ساحِرٍ وتخييلُ سِحْرٍ، ولا يظفَرُ السَّاحِرُ بمَطلوبِه أينما كان.

فألقى موسى عَصاه، فابتلَعَت عِصِيَّ السَّحَرةِ وحِبالَهم، وظهَرَ الحقُّ وقامت الحُجَّةُ عليهم. فألقى السَّحَرةُ أنفُسَهم على الأرضِ ساجدينَ، وقالوا: آمَنَّا برَبِّ هارونَ وموسى.

ثم بيَّن الله تعالى موقفَ فرعونَ مِن السحرةِ، واتهامَه لهم، ثم تهديدَهم، فقال تعالى: قال فِرعَونُ للسَّحَرةِ: أصدَّقتُم بموسى واتَّبعتُموه، وأقرَرْتُم له بالنبُوَّةِ قبل أن آذَنَ لكم بذلك؟ إنَّ موسى لَعظيمُكم ورئيسُكم الذي عَلَّمكم السِّحرَ، لأُقطِّعَنَّ مِن كُلِّ واحدٍ منكم يدَه اليُمنى مع رِجلِه اليُسرى أو العكس، ولأُصلِّبَنَّكم على جذوعِ النَّخلِ، ولتعلَمُنَّ -أيُّها السَّحَرةُ- مَن هو أشَدُّ عذابًا وأدوَمُ له!

ثمَّ ذكَر الله تعالى موقفَ السحرةِ مِن تهديدِ فرعونَ لهم، فقال تعالى: قال السَّحَرةُ لفِرعَونَ: لن نُفَضِّلَك على ما جاءنا مِن البيِّناتِ الدَّالَّةِ على صِدقِ موسى، ولن نُفَضِّلَك على اللهِ الذي خلَقَنا، فافعَلْ ما أنت فاعِلٌ بنا، إنَّما ينفُذُ أمرُك في هذه الحياةِ الدُّنيا، وعذابُك فيها ما هو إلَّا عذابٌ مُنتَهٍ بانتهائِها، إنَّا آمَنَّا برَبِّنا وصدَّقْنا رَسولَه؛ لِيَغفِرَ لنا ذُنوبَنا مِن الكُفرِ والمعاصي، وما أكرَهْتَنا عليه مِن عَمَلِ السِّحرِ في مُعارضةِ موسى. واللهُ خيرٌ لنا مِنك -يا فِرعَونُ- وأجرُه خَيرٌ لنا مِن أجرِك، وهو أدوَمُ عذابًا لِمَن عصاه، وخالَف أمْرَه.

إنَّه مَن يأتِ رَبَّه كافرًا به، فإنَّ له نارَ جهنَّمَ يُعَذَّبُ بها، لا يموتُ فيها فيَستريحَ، ولا يحيا حياةً يتلذَّذُ بها، ومَن يأتِ رَبَّه مُؤمِنًا به قد عَمِلَ الأعمالَ الصَّالحةَ، فله المنازِلُ العاليةُ؛ وهي جنَّاتُ إقامةٍ دائمةٍ، تجري مِن تحتِ أشجارِها وغُرَفِها الأنهارُ، ماكثينَ فيها أبدًا، وذلك النَّعيمُ المقيمُ ثَوابٌ مِن الله لِمَن طهَّر نَفسَه مِن الشِّركِ والمعاصي، ونمَّاها بالإيمانِ والعَمَلِ الصَّالحِ.

يقولُ الله تعالى: ولقد أوحَينا إلى موسى أن يَخرُجَ ليلًا ببني إسرائيلَ مِن أرضِ «مصرَ»، فيتَّخِذَ لهم في البَحرِ طريقًا يابسًا، غيرَ خائفٍ مِن فِرعَونَ وجُنودِه أن يَلحَقوهم، ولا من البَحرِ أن يغرَقَ فيه.

ولَمَّا عَلِمَ فِرعونُ بخُروجِ موسى وبني إسرائيلَ مِن مِصرَ، أتبَعَهم بجُنودِه، فأصاب فِرعَونَ وجُندَه مِن البَحرِ شَيءٌ عظيمٌ لا يعلَمُ كُنهَه إلَّا اللهُ تعالى، فغَرِقوا جميعًا ونجا موسى وقَومُه، وأضلَّ فِرعَونُ قَومَه عن طَريقِ الحقِّ بما زيَّنه لهم من الكُفرِ والتَّكذيبِ، ولم يسلُكْ بهم طريقَ الهدايةِ!

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾﴿79﴾

(وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى) أي: وصَرَف فِرعَونُ قَومَه القِبطَ عن طَريقِ الحقِّ، ولم يهْدِهم إليه، فلم يُحصِّلوا الخيرَ والنَّجاةَ. موسوعة التفسير

❍ لا شيء يورد المهالك ويعظم فداحة الخذلان والخسارة كتسليمك القيادة لمتبع هوى نفسه والمغرور بها. مها العنزي

❍"وأضل فرعون قومه" في الحياة بكفرهم ... وآخر الحياة بإغراقهم ... وبعد الحياة بالنار: ضلالات يلعن بعضها بعضاً. علي الفيفي

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾﴿80﴾

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ) أي: قال الله تعالى: يا بني إسرائيلَ قد أنجيناكم مِن عَدُوِّكم فِرعَونَ، فأغرقناه وجُنودَه. موسوعة التفسير

قيل: الخطابُ لبني إسرائيلَ بعدَ إنجائِهم مِن البحرِ، وإهلاكِ فرعونَ، على إضمارِ: (قلنا)، وقيل: الخطابُ لليهودِ المعاصرينَ لنبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم؛ لأنَّ النعمةَ على الآباءِ معدودةٌ مِن النعمِ على الأبناءِ. يُنظر: ((تفسير البيضاوي))

(وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ) أي: وواعَدْناكم جانِبَ جَبَلِ الطُّورِ الأيمنَ لإنزالِ التَّوراةِ؛ لتهتَدوا بها. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) [الأعراف: 142].

وقال الرازي: (قال المفسِّرون: ليس للجبلِ يمينٌ ولا يسارٌ، بل المرادُ أنَّ طورَ سيناءَ عن يمينِ مَن انطلَق مِن مصرَ إلى الشامِ).

عَدَّى المواعدةَ إليهم؛ لأنَّها لَابَسَتْهم واتَّصلَتْ بهم، حيث كانت لنَبِيِّهم ونُقبائِهم، وإليهم رجعَتْ منافِعُها الَّتي قام بها دِينُهم وشرْعُهم، وفيما أفاض عليهم من سائرِ نِعَمِه وأرزاقِه، وإيفاءً لمقامِ الامتنانِ حَقَّه. موسوعة التفسير

(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) أي: ونزَّلْنا عليكم -يا بني إسرائيلَ- رِزقًا طيِّبًا سَهلًا، تحصُلونَ عليه بلا كُلفةٍ، ولا مَشقَّةٍ. موسوعة التفسير

قال الواحدي: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى يعني في التِّيهِ، وهذا مخاطبتُه لمن كان في عصرِ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم من اليهودِ). (الوسيط)

قال الشِّنقيطي: (أكثرُ العُلَماءِ على أنَّ المنَّ: التُّرَنْجَبينُ، وهو شيءٌ ينزِلُ من السَّماءِ كنُزولِ الندى ثم يتجَمَّدُ، وهو يشبهُ العَسَل الأبيض. والسَّلوى: طائر يُشبِهُ السُّمَانى. وقيل: هو السُّمانى. وهذا قولُ الجمهورِ في المنِّ والسَّلوى... والأظهَرُ عندي في المنِّ: أنَّه اسمٌ جامِعٌ لِما يمُنُّ الله به على عبدِه مِن غَيرِ كَدٍّ ولا تعَبٍ، فيدخُلُ فيه التُّرَنْجَبينُ الذي منَّ الله به على بني إسرائيلَ في التِّيهِ، ويَشملُ غيرَ ذلك مما يماثِلُه، ويدُلُّ على هذا قولُه صلَّى الله عليه وسلَّم الثابتُ في الصَّحيحينِ: «الكَمْأةُ مِن المنِّ» والأظهَرُ عندي في السلوى: أنَّه طائِرٌ سواءٌ قلنا: إنَّه السُّمانى، أو طائِرٌ يُشبِهُه؛ لإطباقِ جمهورِ العُلَماءِ مِنَ السَّلَفِ والخَلَفِ على ذلك). (أضواء البيان)

رُتِّبَ ذِكْرُ هذه النِّعمِ تَرتيبًا حَسنًا، حيث قُدِّمَت عليها النِّعمةُ العظيمةُ، وهي خَلاصُهم مِن استعبادِ الكَفرةِ؛ فبدَأَ بإزالةِ ما كانوا فيه مِن الضَّررِ مِن الإذلالِ والخراجِ والذَّبْحِ، وهي آكَدُ أنْ تكونَ مُقدَّمةً على المنفعةِ الدُّنيويَّةِ؛ لأنَّ إزالةَ الضَّررِ أعظَمُ في النِّعمةِ من إيصالِ تلك المنفعةِ، ثمَّ أعقَبَ ذلك بذِكْرِ المنفعةِ الدِّينيَّةِ، وهي قولُه: وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ؛ إذ أنزَلَ على نَبِيِّهم مُوسى كِتابًا فيه بَيانُ دِينِهم وشَرْحُ شَريعتِهم، ثمَّ ذكَرَ المنفعةَ الدُّنيويَّةَ، وهي قولُه: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى. موسوعة التفسير

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾﴿81﴾

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) أي: وقُلْنا لبني إسرائيلَ: كُلُوا من الطَّعامِ الحَلالِ اللَّذيذِ الذي رزَقْناكم. موسوعة التفسير

(وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) أي: ولا تتجاوَزوا الحدَّ فيما رَزَقْناكم -ومِن ذلك أن تَكفُروا هذه النِّعمةَ، وتَترُكوا شُكري، وتستَعينوا برِزْقي على معصيتي، وتمْنَعوا الحقوقَ الواجبةَ عليكم- فيَجِبَ عليكم حينئذٍ غَضَبي، وتلزَمَكم عُقوبتي. موسوعة التفسير

(وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) أي: ومن يجِبْ عليه غضبي فقد هلك وشَقِيَ. موسوعة التفسير

❍لا تهتم كثيراً بغضب المخلوق، المهم ألا يغضب عليك الخالق!! عايض المطيري

قال -ﷺ-: "مَنْ أرْضَى الناسَ بسخَطِ اللهِ وكَلَهُ اللهُ إلى الناسِ، ومَنْ أسخَطَ الناسَ برضا اللهِ كفاهُ اللهُ مُؤْنَةَ الناسِ" صحيح الجامع

❍لا تعرض نفسك لغضب الله ومقته وعذابه فلن يحجزك أحد عن الله او ينصرك فلا تهلك نفسك بيدك. مها العنزي

❍يرتجف البنان حين كتابتها وترتعد الفرائص عند قراءتها ويخفق الجنان أثناء سماعها " وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى " يارب سلم سلم. ياسر الظفيري

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾﴿82﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال أبو حيان: لَمَّا حَذَّرَ اللهُ تعالى من الطُّغيانِ فيما رَزَق، وحَذَّر مِن حُلولِ غَضَبِه؛ فتَحَ بابَ الرَّجاءِ للتَّائبينَ، وهي قولُه

(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) أي: وإنِّي لكثيرُ المغفرةِ لِمن رجَعَ عمَّا كان فيه من كُفرٍ أو شِركٍ، أو نفاقٍ أو مَعصيةٍ، وآمَنَ بكلِّ ما يجِبُ الإيمانُ به، وأخلَصَ لله في عبادتِه، وعَمِلَ الأعمالَ الصَّالِحةَ تَصديقًا لإيمانِه، ثمَّ لَزِمَ ذلك فثَبَت على التَّوبة، وأقام على الإيمانِ، واستمرَّ على القيامِ بالأعمالِ الصَّالحةِ حتى مماتِه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) [الأنفال: 38].

وقال سُبحانَه: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر: 53].

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [فصلت: 30].

وعن سُفيانَ بنِ عَبدِ اللهِ الثَّقَفيِّ رَضِيَ الله عنه، قال: ((قلتُ: يا رسولَ اللهِ، قلْ لي في الإسلامِ قولًا لا أسألُ عنه أحدًا بَعدَك، قال: قل: آمَنتُ باللهِ، فاستَقِمْ)). رواه مسلم

❍ليس بينك وبين المغفرة سوى قلب يتألم على ما فات، ويعمل صالحا فيما هو آت. إبراهيم العقيل

❍لا تتردد في العودة إلى الله مهما لوثتك الذنوب والخطايا فالذي سترك تحت سقف المعصية لن يخذلك وأنت تحت جناح التوبة. ابو حمزة الكناني

قال السعدي: فيه أنَّ من تاب من الكُفرِ والبِدعةِ والفُسوقِ، وآمن باللهِ ومَلائكتِه وكُتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخِرِ، وعَمِلَ صالحًا من أعمالِ القَلبِ والبَدَنِ، وأقوالِ اللِّسانِ، وسلَك الصِّراطَ المستقيمَ، وتابَعَ الرَّسولَ الكريمَ، واقتدى بالدِّينِ القويمِ؛ فهذا يَغفِرُ اللهُ أوزارَه، ويعفو عما تقَدَّمَ مِن ذَنبِه وإصرارِه؛ لأنَّه أتَى بالسَّبَبِ الأكبَرِ للمَغفرةِ والرَّحمةِ، بل الأسبابُ كلُّها منحصرةٌ في هذه الأشياءِ؛ فإنَّ التوبةَ تجبُّ ما قبلَها، والإيمانَ والإسلامَ يهدمُ ما قبلَه، والعملَ الصالحَ -الذي هو الحسناتُ- يُذهِبُ السيئاتِ، وسلوكُ طرقِ الهدايةِ بجميعِ أنواعِها؛ مِن تعلُّمِ عِلمٍ، وتدبُّرِ آيةٍ أو حديثٍ، حتى يتبينَ له معنى مِن المعاني يهتدي به، ودعوةٍ إلى دينِ الحقِّ، وردِّ بدعةٍ أو كفرٍ أو ضلالةٍ، وجهادٍ، وهجرةٍ، وغيرِ ذلك مِن جزئياتِ الهدايةِ، كلُّها مكفراتٌ للذنوبِ، محصِّلاتٌ لغايةِ المطلوبِ.

مِن أعجبِ ما ظاهرُه الرجاءُ، وهو شديدُ التخويفِ، قولُه تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)؛ فإنه علَّق المغفرةَ على أربعةِ شروطٍ، يصعبُ تصحيحُها. مختصر منهاج القاصدين

قال الرازي: ثُمَّ اهْتَدَى بعد ذِكرِ هذه الأشياءِ؟ الجوابُ مِن وجوهٍ؛ منها:

الوجهُ الأوَّل: أنَّ المرادَ منه الاستمرارُ على تلك الطَّريقةِ؛ إذ المهتدي في الحالِ لا يكفيه ذلك في الفَوزِ بالنَّجاةِ حتى يستَمِرَّ عليه في المستقبَلِ، ويموتَ عليه. ويؤكِّدُه قولُه تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) [فصلت: 30]. الوجهُ الثاني: أنَّ المرادَ مِن قَولِه: ثُمَّ اهْتَدَى أي: عَلِمَ أنَّ ذلك بهدايةِ اللهِ وتوفيقِه، وبَقِيَ مُستعينًا باللهِ في إدامةِ ذلك مِن غَيرِ تَقصيرٍ.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾﴿83﴾

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى) أي: وأيُّ شَيءٍ حَمَلَك -يا موسى- على أن تَسبِقَ قَومَك إلى الطُّورِ، ولم تَصبِرْ حتى تقْدَمَ معهم. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: (الذي يُؤخَذُ مِن كَلامِ المفَسِّرينَ وتُشيرُ إليه الآيةُ: أنَّ موسى تعجَّلَ مُفارقةَ قَومِه ليحضُرَ إلى المناجاةِ قبلَ الإبَّانِ الذي عَيَّنَه الله له؛ اجتهادًا منه، ورغبةً في تلقِّي الشريعةِ حَسَبما وعده الله قبل أن يحيطَ بنو إسرائيلَ بجَبَلِ الطورِ، ولم يراعِ في ذلك إلا السَّبقَ إلى ما فيه خيرٌ لِنَفسِه ولقومِه، فلامه الله على أن غَفَل عن مراعاةِ ما يحفُّ بذلك من ابتعادِه عن قَومِه قبل أن يوصِيَهم الله بالمحافظةِ على العَهدِ، ويحَذِّرَهم مكرَ مَن يتوسَّمُ فيه مَكرًا).

يحتمِلُ أنَّ الله تعالى أراد بسُؤالِ موسى عليه السلامُ عن سبَبِ العجلةِ -وهو أعلَمُ-: أنْ يُعلِّمَ مُوسى أدَبَ السَّفرِ، وهو أنَّه يَنْبغي تأخيرُ رئيسِ القومِ عنهم في المسيرِ؛ ليكونَ نظَرُه مُحيطًا بطائفتِه، ونافِذًا فيهم، ومُهيمِنًا عليهم. وهذا المعنى لا يحصُلُ في تقدُّمِه عليهم، ألَا تَرى اللهَ عَزَّ وجَلَّ كيف علَّمَ هذا الأدبَ لُوطًا، فقال: (وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) [الحجر: 65]، فأمَرَه أنْ يكونَ أخيرَهم. على أنَّ مُوسى عليه السَّلامُ إنَّما أعْفَلَ هذا الأمْرَ؛ مُبادَرةً إلى رِضَا اللهِ عَزَّ وجَلَّ، ومُسارَعةً إلى الميعادِ، وذلك شأْنُ الموعودِ بما يسُرُّه؛ يَوَدُّ لو رُكِّبَ إليه أجنحةُ الطَّيرِ، ولا أسَرَّ من مُواعدةِ اللهِ تعالى له صلَّى الله عليه وسلَّم. وممَّا أفادَهُ السُّؤالُ أيضًا: تَعريفُ المسؤولِ بما يَجهَلُه من أُمورٍ، وقد أراد سُبحانَه تَعريفَه بفِتْنةِ قومِه؛ ووُقوعِهم في عِبادةِ العجْلِ.

﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾﴿84﴾

(قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي) أي: قال موسى: هم قادِمونَ مِن ورائي، وسيلحَقونَ بي. موسوعة التفسير

لا تستغرب ضلالة من ضل من أصحاب الأمس... هؤلاء أصحاب نبي غاب عنهم ساعات فكفروا. علي الفيفي

وقال ابنُ عاشور: (قولُه هنا: هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي يدُلُّ على أنَّهم كانوا سائرينَ خَلفَه، وأنَّه سَبَقَهم إلى المناجاةِ).

(وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) أي: وسبقتُ قومي إلى الطورِ -يا ربِّ- مسارعةً في طَلَبِ رِضاك.

موسوعة التفسير

فيه سؤالٌ: أنه قال: وَعَجِلْتُ والعجلةُ مذمومةٌ؟ والجواب: أنَّها ممدوحةٌ إذا كانت في الدينِ؛ قال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ) [آل عمران: 133].

قال -ﷺ- : (التُّؤْدَةُ في كلِّ شيءٍ ، إلا في عملِ الآخرةِ). صحيح أبي داود

❍لتنال رضا محبوبك قدم رضاه عن هوى نفسك وتزلف لديه ليكرمك بقربه والحضوة عنده فالأفعال أبلغ بكثير من الأقوال... مها العنزي

❍لم يقل لتعطيني! إن العلاقة مع الله ليست معاوضة! انها عبودية ...وإن جنة العبد أن يرضى عنه سيده! تأملات قرآنية

❍ابحثوا في هذه الكلمة عن شوق الصالحين، وصدق المنيبين، واستجابة الأوّابين.. عجّل وامضِ إلى مكانٍ يرضي ربك. ياسر السليم

❍اجعل هذه الآية شعارُك، وسابِق لِأعمال يُحبها الله، وسابق إلى رحمةً منهُ ورضوان، وعجّل بما تجودُ بهِ يداك ... ليُحبك ويرضى. ياسمين العنزي

(وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ) الأمور أحد أمرين: 1) إما أمور يُخشى سوء عواقبها مما يتعلق بحياة الناس العامة والخاصة، فهذه لا يحسُن العجلة فيها، والمؤمن مطالب بالتريث فيها، واللجوء إلى أهل العلم (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ)، (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) والآيات في هذا المعنى كثيرة. 2) والأمر الثاني الذي قصده كليم الله، أن تكون المسألة مسألة قُربة، مسألة تعبد لله، فالعبد مأمور أن يتعجل فيها، فلا يمكن أن تطلب شيئاً أعظم من رضوان الله. فبما ننال رضوان الله؟! يُنال هذا بإقامة الدين كله من حيث الجملة، أما من حيث التفصيل فإنه ينبغي أن ينعقد القلب على محبة الله جل وعلا، والطمع في رحمته، والخوف من عقابه. فإذا ملأ الله قلب العبد بهذه الثلاث فقد كان يثبت على أرض صلبة في طريقه إلى ربه جل وعلا.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾﴿85﴾

(قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ) أي: قال الله لموسى: فإنَّا قد ابتَلَينا قَومَك مِن بَعدِ فِراقِك لهم بعبادةِ العِجلِ.

❍الفتنة باختصار إختبار كبير من الله لعباده فمنهم من ينجح ومنهم من يسقط سقوطا مدويا وكل ناجح مقرب من الله. مها العنزي

وقال ابن عاشور: (إسنادُ الفَتنِ إلى الله تعالى باعتبارِ أنَّه مُقَدِّرُه وخالقُ أسبابِه البعيدةِ. وأما إسنادُه الحقيقي فهو الذي في قولِه: وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ؛ لأنه السَّبَبُ المباشِرُ لضَلالِهم المسَبِّبِ لفِتنتِهم).

(وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) أي: وأضلَّ قومَك السَّامريُّ الذي أخرجَ لهم العِجلَ، ودعاهم إلى عبادتِه فأطاعوه. موسوعة التفسير

❍تختلف الهيئة، ويختلف اللقب او المسميات لكن الثابت ان في كل زمان هنالك سامري بينه وبين طريق الحق عداوة متأصلة! مها العنزي

❍غياب المعلم والمربي عند رواج الشبهات يتيح الفرصة للمنحرفين فكريا لإضلال الأتباع والتلاميذ. د. ناصر العمر

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾﴿86﴾

(فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا) أي: فانصرفَ موسى من الطُّورِ إلى قَومِه بني إسرائيلَ في حالِ غَضَبٍ شَديدٍ منهم، وحُزنٍ على ما أحدَثوه مِن ضَلالٍ وكُفرٍ في غيابِه. موسوعة التفسير

(قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا) أي: قال موسى: يا قومِ، ألم يَعِدْكم رَبُّكم وَعدًا حَسَنًا بحُصولِ الخَيرِ لكم في الدُّنيا والآخرةِ، كإنزالِ التَّوراةِ، والنَّصرِ على أعدائِكم، وغيرِ ذلك مِن أياديه عِندَكم، ووَعدَكم مَغفِرةَ ذُنوبِكم، ودُخولَ الجَنَّةِ إن أطعتُموه. موسوعة التفسير

(أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ) أي: فهل طال عليكم انتِظارُ ما وعَدَكم اللهُ، ونَسِيتُم نِعَمَه عليكم؟! فإنَّ زَمَنَ ذلك لم يَبعُدْ حتَّى تيأسوا مِن الوفاءِ، وتَكفُروا وتَعبُدوا غيرَه، وتكونَ لكم شُبهةُ عُذرٍ في الإعراضِ عن عبادةِ اللهِ. موسوعة التفسير

(أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي) أي: بل أردتُم أن يجِبَ عليكم غضَبٌ مِنَ الله، فتَستَحِقُّوه؛ لِتَركِكم اتِّباعي إلى الطُّورِ، وعُكوفِكم على عبادةِ العِجلِ مِن بَعدِي. موسوعة التفسير

وقال الشنقيطي: (قوله: أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ قال بعضُ العلماءِ: «أم» هنا هي المنقطعةُ، والمعنى: بل أردتُم أن يحلَّ عليكم غضبٌ مِن ربِّكم، ومعنى إرادتهم حلولَ الغضبِ: أنهم فعلوا ما يستوجبُ غضبَ ربِّهم بإرادتِهم. فكأنهم أرادوا الغضبَ لما أرادوا سببَه، وهو الكفرُ بعبادةِ العجلِ). ((أضواء البيان))

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾﴿87﴾

(قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا) أي: قال بنو إسرائيلَ لِموسى: ما أخلَفْنا ما عَهِدتَ إلينا بإرادتِنا واختيارِنا، ولم نكنْ نَملِكُ أمْرَنا. موسوعة التفسير

(وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا) أي: ولكِنَّا حُمِّلْنا مِن حُلِيِّ آلِ فِرعَون، فألقَيناها في النَّارِ. موسوعة التفسير

(فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) أي: فكما قَذَفْنا نحن تلك الأثقالَ مِن الحُلِيِّ، ألقَى السَّامِرِيُّ أيضًا ما كان في يَدِه. موسوعة التفسير

قال ابنُ جُزَي: (كان السَّامِرِيُّ قد رأى جبريلَ عليه السَّلامُ، فأخذ مِن وَطءِ فَرَسِه قَبضةً مِن تُرابٍ، وألقى اللهُ في نَفسِه أنَّه إذا جعَلَها على شَيءٍ مواتٍ صار حيوانًا، فألقاها على العِجلِ فخار العِجلُ، أي: صاح صِياحَ العُجولِ، فالمعنى: أنَّهم قالوا: كما ألقَينا الحُليَّ في الحُفرةِ ألقى السَّامريُّ قَبضةَ التُّرابِ).

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾﴿88﴾

(فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ) أي: فأخرَجَ السَّامِريُّ لبني إسرائيلَ مِن الحُلِيِّ التي قَذَفوها في النَّارِ عِجلًا جسدًا، له صوتُ البَقَرِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ) [الأعراف: 148].

❍أثناء الفتنة يغيب العقل، الخوار كان صوت صفير الهواء الداخل للعجل، (فدليل أولوهية العجل هو عين دليل بطلانها). عقيل الشمري

(فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) أي: فقالوا: هذا العِجلُ هو معبودُكم ومعبودُ موسى الذي غَفَل عنه موسى هاهنا، وذهبَ إلى الجبلِ ليطلُبَه. موسوعة التفسير

❍لا تأمن فما أسرع دخول الشرك بعد التوحيد! بينما كانوا مؤمنين موحدين عبدوا العجل في مدة (أربعين يوما). عقيل الشمري

قال ابن كثير: قالَ اللَّهُ تعالَى رَدًّا عليهم، وتقريعًا لهم، وبيانًا لفضيحَتِهم، وسَخافةِ عقولِهِم فيما ذَهَبوا إليه.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾﴿89﴾

(أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا) أي: أفلا يرى الذين عبدوا العِجلَ أنَّه لا يكَلِّمُهم، ولا يرُدُّ عليهم إنْ كَلَّموه. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) [الأعراف: 148].

(وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا) أي: وأنَّه لا يَقدِرُ على ضَرِّهم بشَيءٍ، ولا على نَفعِهم بشَيءٍ في الدُّنيا ولا في الآخِرةِ؟ فكيف يكونُ إلهًا مَن تلك صِفاتُه. موسوعة التفسير

جعَلَ امتناعَ صِفةِ الكَلامِ والتَّكليمِ، وعَدَمَ مِلكِ الضَّرِّ والنَّفعِ دَليلًا على عَدَمِ الإلهيَّةِ، وهذا دليلٌ عقليٌّ سَمعيٌّ على أنَّ الإلهَ لا بُدَّ أن يُكَلِّمَ ويتكَلَّمَ، ويَملِكَ لعابِدِه الضَّرَّ والنَّفعَ، وإلَّا لم يكن إلهًا، فالإلهُ لا بدَّ أن يكونَ موصوفًا بهذه الصفاتِ. موسوعة التفسير

أحرِموا العَقلَ الهادي؛ فلا يَتفكَّرونَ، ولا يَنظُرونَ بنَظرِ البَصيرةِ أنَّ هذا المتَّخذَ مِن هذه الأجرامِ لا يَصلُحُ للإلهيةِ، أم عَمُوا وصَمُّوا فلا يَهتدون إلى أنَّ الإلهَ ينبغي أنْ يكونَ سامعًا لدعاءِ عابدِه، عالِمًا بأفعالِه، دافعًا عنه المضارَّ، مُثيبًا ومعاقبًا؟! وهو إنكارٌ وتَقبيحٌ من جِهَتِه تعالى لحالِ الضَّالِّينَ والمضلِّينَ جميعًا، وتَسفيهٌ لهم فيما أقْدَموا عليه مِن المنكَرِ الَّذي لا يَشْتَبِهُ بُطلانُه واستحالتُه على أحدٍ، وهو اتِّخاذُه إلهًا. موسوعة التفسير

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾﴿90﴾

(وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ) أي: ولقد قال هارونُ لِعَبَدةِ العِجلِ مِن قَومِه، ناصحًا لهم مِن قَبلِ رُجوعِ موسى إليهم: يا قومِ، إنَّما اختبَرَكم اللهُ وابتلاكم بهذا العِجلِ؛ ليَظهرَ مَن يَثبُتُ منكم على إيمانِه بالله، ومَن يُفتَنُ بالعِجلِ فيَكفُرُ. موسوعة التفسير

❍أكثر من لاينفع معه الإرشاد هو المفتون لأن عقله تشرب بفكرة تمكنت منه ولايريد غيرها. مها العنزي

❍إذا رأيت الناس قد فتنهم شيء من أمور الدنيا عن طاعة ربهم فاقرأ عليهم هذه الآية / محمد الربيعة

❍ما الفتن إلا لتميز القلب السليم فمن لم يصبر على دينه في الهرج انزلق وضل / خواطر قرآنية

(وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي) أي: وإنَّ رَبَّكم الرَّحمنُ الذي يَرحَمُكم، ويُنعِمُ عليكم بالنِّعَمِ الظاهرةِ والباطنةِ، لا العِجلُ الذي تَعبُدونَه؛ فاتَّبِعوني على ما آمُرُكم به مِن عِبادةِ الله، وتَرْكِ عبادةِ العِجلِ، وأطيعوني فيما أمَرتُكم به مِن طاعةِ الله، وإخلاصِ العبادةِ له، ولا تُطيعوا السَّامِريَّ. موسوعة التفسير

❍كم يأتينا نصح صادق فنتكبر بمعرفتنا بما نفعل حتى تخرج الأمور عن السيطرة لمَ نتكبر عن النصيحة وجميعنا خطاؤون؟ لمَ نتكبر وجميعنا بحاجة لمن يرشدنا أحياناً؟ خواطر قرآنية

قال الرازي: سلَك هارونُ عليه السلامُ في هذا الوعظِ أحسنَ الوجوهِ؛ لأنَّه زجَرهم عن الباطلِ أولًا بقولِه: إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ، ثم دعاهم إلى معرفةِ الله تعالى ثانيًا بقولِه: وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ، ثم دعاهم ثالثًا إلى معرفةِ النبوةِ بقولِه: فَاتَّبِعُونِي، ثم دعاهم إلى الشرائعِ رابعًا بقولِه: وَأَطِيعُوا أَمْرِي، وهذا هو الترتيبُ الجيدُ؛ لأنَّه لا بدَّ قبلَ كلِّ شيءٍ مِن إماطةِ الأذَى عن الطريقِ، وهو إزالةُ الشبهاتِ في حالِ وجودِها، وكونِ الانحرافِ بسببِها، ثم معرفةُ الله تعالى هي الأصلُ، ثم النبوةُ، ثم الشريعةُ، فثبَت أنَّ هذا الترتيبَ على أحسنِ الوُجوهِ.

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾﴿91﴾

(قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) أي: قال عَبَدةُ العِجلِ: سنظَلُّ مُقيمينَ على عبادةِ العِجلِ، حتى يأتيَ إلينا موسى من الطُّورِ، فنسمَعَ كلامَه في شأنِ العِجلِ، أو ننظُرَ صنيعَه فيه. موسوعة التفسير

﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾﴿92﴾﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾﴿93﴾

(قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ) أي: قال موسى لأخيه لائمًا له لَمَّا رجَعَ إلى قَومِه، فرأى ما حَدَث فيهم مِن الخَطبِ العَظيمِ: يا هارونُ، أيُّ شَيءٍ مَنَعَك حين رأيتَ بني إسرائيلَ قد أخطؤوا طريقَ الحَقِّ بعبادتِهم العِجلَ وكَفَروا باللهِ: أن تلحَقَ بي. موسوعة التفسير

(أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي) أي: هل عَصَيتَ -يا هارونُ- أمري لك بأن تَخلُفَني في قومي، وأن تُصلِحَ، ولا تتَّبِعَ سَبيلَ المفسِدينَ. موسوعة التفسير

كما قال الله تعالى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) [الأعراف: 142].

﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾﴿94﴾

(قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي) أي: ثمَّ أخَذ موسى بلِحيةِ أخيه هارونَ ورأسِه يجُرُّه إليه، فقال هارونُ مُستَعطِفًا أخاه: يا ابنَ أمَّ، لا تأخُذْ بلِحيتي، ولا بشَعرِ رأسي. موسوعة التفسير

قولُه: قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ عدَلَ عن (يا أخِي) -وإنْ كان شقيقَه- إلى (ابنَ أُمَّ) فخَصَّ الأُمَّ بالإضافةِ؛ استِعظامًا لحَقِّها، واستِعْطافًا وتَرقيقًا لقَلْبِه؛ فذِكْرُ الأُمِّ هاهنا أَرَقُّ وأبلغُ، وهو تَذكيرٌ بأقْوى أواصرِ الأُخوَّةِ، وهي آصِرَةُ الوِلادةِ من بطْنٍ واحدٍ، والرَّضاعُ من لِبانٍ واحدٍ، ولأنَّ الأمَّ يَسوءُها ما يَسوءُه، وهي أرقُّ مِن الأبِ.

(إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أي: إنِّي خَشِيتُ أن تقولَ لي إن لحقتُ بك: فَرَّقْتَ بينَ جماعةِ بني إسرائيلَ. موسوعة التفسير

قال القرطبي: (أي: خشيتُ أن أخرُجَ وأترُكَهم وقد أمرتَني أن أخرُجَ معهم؛ فلو خرجتُ لاتَّبَعني قومٌ ويتخَلَّف مع العِجلِ قومٌ، وربما أدَّى الأمرُ إلى سَفكِ الدماء، وخَشيتُ إن زجَرتُهم أن يقعَ قِتالٌ فتلومَني على ذلك).

(وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) أي: وخَشِيتُ أن تقولَ: ولم تحفَظْ وصِيَّتي وتعمَلْ بها، ولم تراعِ ما أمَرْتُك به حين استخلَفْتُك على قَومي. موسوعة التفسير

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾﴿95﴾

(قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ) أي: قال موسى: فما شأنُكَ -يا سامِريُّ-، وما الذي حَمَلك على ما صَنَعْتَ. موسوعة التفسير

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾﴿96﴾

(قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) أي: قال السَّامريُّ لموسى: رأيتُ ما لم يرَ بنو إسرائيلَ، وعلمْتُ ما لم يَعْلَموا. موسوعة التفسير

(فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) أي: فأخذتُ بكَفِّي ترابًا من أثَرِ حافِرِ فَرَسِ جِبريلَ. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: (قال جمهورُ المفسِّرينَ: المرادُ بِالرَّسولِ جبريلُ، ورَوَوْا قِصَّةً قالوا: إنَّ السَّامِرِيَّ فَتَنَه اللَّهُ، فأراه اللَّهُ جبريلَ راكِبًا فَرَسًا فَوَطِئَ حافِرُ الفرسِ مكانًا فإذا هو مُخْضَرٌّ بِالنَّباتِ. فعلِم السَّامِرِيُّ أنَّ أثرَ جبريلَ إذا أُلقي في جمادٍ صارَ حَيًّا، فأخذَ قبضةً من ذلك التُّرابِ وصَنَع عجلًا وألقى القبضة عليه فصارَ جسدًا، أي حَيًّا، له خوارٌ كخوارِ العجلِ، فعَبَّر عن ذلك الإلقاءِ بالنَّبْذ. وهذا الَّذي ذكروه لا يوجدُ في كُتُبِ الإسرائيليّينَ، ولا ورَدَ به أثرٌ مِن السُّنةِ، وإنَّما هي أقوالٌ لبعضِ السَّلَفِ، ولَعَلَّها تَسَرَّبَتْ لِلنَّاسِ مِنْ رواياتِ الْقَصَّاصينَ).

(فَنَبَذْتُهَا) أي: فألقيتُ قَبضةَ التُّرابِ، فكان منها ما تَراه. موسوعة التفسير

قال الشنقيطي: (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ يعني: من أثَرِ حافرِ فَرَسِ الرَّسولِ، يعني: جبريلَ. فَنَبَذْتُهَا أي: على العِجْلِ، فجعله اللهُ جَسَدًا له خُوارٌ، فلما ألقى السَّامريُّ ذلك الترابَ على العِجلِ صار ذلك العِجلُ المصوغُ مِن الحُليّ جَسدًا له خُوارٌ).

قال الشنقيطي: (وأظهَرُ الأقوالِ عندي في ذلك: هو أنَّهم جعلوا جميعَ الحُلِيِّ في النارِ ليذوبَ فيصيرَ قطعةً واحدة؛ لأنَّ ذلك أسهَلُ لحِفظِه حتى يرى نبيُّ الله موسى فيه رأيَه، والسَّامريُّ يريدُ تدبيرَ خطَّةٍ لم يطَّلِعوا عليها، وذلك أنَّه لَمَّا جاء جبريلُ ليذهَبَ بموسى إلى الميقاتِ وكان على فَرَسٍ، أخذَ السَّامريُّ ترابًا مَسَّه حافِرُ تلك الفَرَس، ويزعمون في القِصَّةِ أنَّه عاين موضِعَ أثَرِها يَنبُتُ فيه النباتُ، فتفَرَّسَ أنَّ الله جعل فيها خاصيَّةَ الحياة، فأخَذ تلك القبضةَ مِن الترابِ واحتفَظ بها، فلمَّا أرادوا أن يَطرَحوا الحُلِيَّ في النَّارِ لِيَجعَلوه قِطعةً واحدةً، أو لغيرِ ذلك مِن الأسبابِ، وجَعَلوه فيها؛ ألقَى السامريُّ عليه تلك القَبضةَ مِن الترابِ المذكورةَ، وقال له: كنْ عِجْلًا جسدًا له خوارٌ، فجعَلَه الله عِجلًا جسدًا له خوارٌ، فقال لهم: هذا العِجلُ هو إلهُكم وإلهُ موسى، كما يشيرُ إلى ذلك قولُه تعالى عن موسى: قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي).

(وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي) أي: وكذلك زيَّنَتْ وحسَّنَت لي نفسي. موسوعة التفسير

❍ أخطر الأعداء من لا تتوقعه عدوا، يأتيك على حين غرة فيرديك وقديما قيل: (من مأمنه يؤتى الحذر)، فكن من نفسك على حذر. / أ. د. ناصر العمر

قال ابن جرير: (وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي) [طه: 96] يقولُ: وكما فعلتُ مِن إلقائي القبضةَ التي قبضتُ مِن أثرِ الفرسِ على الحليةِ التي أُوقِد عليها حتى انسبَكت فصارتْ عجلًا جسدًا له خوارٌ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي يقولُ: زيَّنت لي نفسي أنَّه يكونُ ذلك كذلك).

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾﴿97﴾

(قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ) أي: قال موسى للسَّامريّ: فلأنَّك أخذْتَ ومَسِستَ ما لم ينبغِ لك أخْذُه ومَسُّه مِن أثَرِ الرَّسولِ، فاخرجْ مِن بَينِنا وتباعَدْ منَّا؛ فإنَّ لك مدَّةَ حياتِك الدُّنيا أن تقولَ: لا أَمَسُّ ولا أُمَسُّ، فلا يمسُّك ولا يخالِطُك ولا يقربُك أحدٌ من النَّاسِ، ولا تمسُّ ولا تخالطُ ولا تقربُ أحدًا منهم؛ عقوبةً لك على إضلالِك بني إسرائيلَ. موسوعة التفسير

(وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ) أي: وإنَّ لك -يا سامريُّ- وعدًا لِعَذابِك لن يُخلِفَكه اللهُ. موسوعة التفسير

(وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ) أي: وانظُرْ -يا سامِريُّ- إلى مَعبودِك العِجلِ الذي بَقِيتَ مُلازِمًا لعبادتِه، واللهِ لَنُحَرِّقَنَّه في النَّارِ. موسوعة التفسير

وقال السعدي: (كان قد أُشرِبَ العِجلُ في قلوبِ بني إسرائيلَ، فأراد موسى عليه السَّلامُ إتلافَه وهم ينظُرونَ، على وَجهٍ لا تُمكِنُ إعادتُه بالإحراقِ والسَّحقِ وذَرْيِه في اليَمِّ ونَسفِه؛ ليزولَ ما في قلوبِهم مِن حُبِّه، كما زال شَخصُه، ولأنَّ في إبقائِه مِحنةً؛ لأنَّ في النُّفوسِ أقوى داعٍ إلى الباطِلِ).

(ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) أي: ثم لَنُفرِّقَنَّ أجزاءَه في البَحرِ تفريقًا لا يبقَى معه شَيءٌ منه. موسوعة التفسير

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾﴿98﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: لَمَّا فَرَغ موسى عليه السَّلامُ مِن إبطالِ ما عَمِلَه السَّامريُّ؛ عاد إلى بيانِ الدِّينِ الحَقِّ

(إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أي: إنَّما معبودُكم اللهُ المستَحِقُّ للعبادةِ وَحدَه، الذي لا معبودَ بحَقٍّ إلَّا هو. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ) [النساء: 171].

(وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) أي: أحاط اللهُ بكُلِّ شَيءٍ عِلمًا، فلا يخفَى عليه شَيءٌ، ولا يَضيقُ عليه عِلمُ جَميعِ ذلك. موسوعة التفسير